# الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم لدى الشيخ محمد الغزالي في كتابه "نظرات في القرآن الكريم"

**الدكتور عبد الحكيم عبد الرحمن أديبايو**

**محاضر بجامعة ولاية لاغوس, نيجيريا,**

**ومؤسس مركز المثل الأعلى للتعليم العربي الإسلامي, لاغوس, نيجيريا**

**annahwyalmubarak@gmail.com**

يتمتع الإعجاز التأثيري (النفسي) للقرآن الكريم باهتمام بالغ لدى المفسرين ومفكري الإسلام لما في سوره وآياته من التأثير العميق في القلوب والصنيع البديع في النفوس البشرية المؤمنة بالقرآن والمنكرة له على حد سواء. ومن رواد الباحثين في الإعجاز النفسي وأوجه التأثير فيه في العالم المعاصر الشيخ محمد الغزالي الذي جعل وجه الإعجاز التأثيري مقدما على وجوه الإعجاز بشكل عام وعلى وجهه البياني الذي نال الصدارة عند السابقين بشكل خاص. تهدف هذه الورقة إلى دراسة وسائل الإعجاز التأثيري النفساني للقرآن الكريم التي أوردها الشيخ محمد الغزالي في كتابه "نظرات في القرآن الكريم". ويهم الدراسة استكشاف العلة التي تعزز مكانة الإعجاز التأثيري على بقية أوجه الإعجاز وتقييم مدى تطابق رأي صاحب الكتاب لما في القرآن الكريم. وتسترشد الدراسة بعدد من الأسئلة منها هل كل إنسان يتأثر بالقرآن,؟ وهل الدقيق يقتصر هذا التأثير على المؤمنين به؟ ولماذا لم يؤثر القرآن في قلوب بعض المشتغلين بدراسة القرآن الكريم من الملحدين والمستشرقين رغم شهادتهم لقداسته واعترافهم بربانيته كما سجلها التاريخ؟ تستخدم الدراسة المنهج الاستقرائي للتتبع الدقيق ولاستقصاء الآراء الواردة في الكتاب وتوظيفها توظيفا منهجيا كما تستخدم المنهج التحليلي لدراسة تلك الآراء ومقارنتها بآراء السابقين والمعاصرين في أولوية الإعجاز التأثيري. وللدراسة أهمية كبيرة تكمن في احتمالها الكشف عن وسائل الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم طبقا لما ورد في كتاب الشيخ الغزالي السالف الذكر.

**المقدمة:**

إن لله تعالى صفات لا تماثل صفات خلقه, منها أنه متكلّم بوجه يليق بجلاله جل وعلا. فالقرآن الكريم كلامه الأزلي ومنزل على أفضل الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الروح الأمين الملك جبريل ليكون هداية للخلق أجمعين. فمن خصائص هذا الكتاب المقدّس أنه يعجز من الإتيان بمثله أو بسورة من سوره الكريمة أو بآية من آياته العجيبة الإنس والجن منذ نزوله حتى الوقت الراهن, وسيبقى هذا الإعجاز إلى الأبد. والله سبحانه وتعالى تحدى القوم أن يأتوا بشيء من القرآن في مواطن معينة, وذلك بقوله: "فأتوا", وهي دعوة للتحدي. فلم يُقدم أحد من المتقدمين والمتأخرين إلى هذا التحدي إلى فضح وافتضح ولن يستطيع أحد مهما أوتي من الفكر والعلم أن يأتي بشيء يماثل القرآن. وما قيل بأن العرب لهم القدرة على الإتيان بالقرآن ولكن الله صرف هممهم عنه فهو فكرة زائفة غير سديدة.

ولقد بذل العلماء المتقدمون قصارى جهودهم لمعرفة أوجه الإعجاز القرآني, ولم يألوا العلماء المحدثون على مواصلة البحث والتنقيب عن أوجه أخرى للإعجاز القرآني وربطه بالعلوم والمعارف طبقا لكثرة المجالات العلمية والمعرفية التي تناولها القرآن الكريم فتوصلوا عن طريق دقة التدبر في الآيات القرآنية إلى الإعجاز البياني, والإعجاز التشريعي, والإعجاز العلمي, الإعجاز التأثيري وغيرها.

وأما الإعجاز فهو على وزن إفعال من العجز الذي هو فقد القدرة وزوال الاستطاعة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير. وأصل الاعجاز في اللغة الضعف. جاء في لسان العرب لعدة معان للعجز, وكلها يدور على شيء واحد:

1- "والعجز: الضعف وضد القدرة, تقول: عجزت عن كذا أَعجز.[1] وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: " لا تلبثوا بدار معجَزة" أي لا تقيموا ببلدة ضعيفة تعجزون فيها عن الاكتساب للمعيشة الرغيدة.

2- العجز بمعنى التثبيط, يقال: عجز الرجل أي ثبطت همته. وعجّز الرجل خصمه أي صار الخصم عاجزا عن متابعته.

---

[1] - الراعب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن, المكتبة التوفيقية, مصر, تقديم: وائل أحمد عبد الرحمن, (د.ت), ص 325.

3- العجز بمعنى نقيض القدرة والحزم. يقال: عجز الرجل عن شيء أي غير قادر على فعله.[2]

والملاحظ أن العجز في لغة العرب يدور حول الضعف وعدم القدرة, ولعل المراد بالإعجاز القرآني هو عجر الثقلين عن الإتيان بمثله, كما في قول الله تعالى " **قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يـأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**"[3].

ويقال: أعجزتُ فلانا وعجّزته وعاجزته أي جعلته عاجزا, قال الله تعالى: "واعلموا أنكم غير معجزي الله", "وما أنتم بمعجزين في الأرض"[4].

فالإعجاز القرآني في الاصطلاح: هو عجز الخلق إنسا وجنا وعدم قدرتهم على معارضة القرآن الكريم إثباتا بأنه وحي يوحى إلى الموحى إليه وليس من عمله ولا عمل غيره من الخلق.

والتأثير لغة, يقال: أثر الشيء في الشيء أي ترك فيه أثرا.  وتأثر الشيء بمعنى ظهر فيه الأثر[5].

والأثر هو العلامة وبقية الشيء.

إن إعجاز القرآن الكريم لم يتوقف عند روعة الألفاظ وجمال المعاني, بل هناك وجه آخر من أوجه الإعجاز لم ينتبه إليه كثير من الناس , ألا وهو الإعجاز التأثيري أو الإعجاز النفسي للقرآن هو تأثيره بأساليبه في سامعه وقارئه حيث يغلب على مشاعره وعقله من سلطانه العجيب.  وهو ذلك الأثر الظاهر أو الباطن الذي يتركه القرآن على قارئه أو سامعه فتارة تدمع العيون وطورا تشعر الجلود, وتارة ترتجف القلوب, وغير ذلك من الأثار الظاهرة أو الباطنة التي لا يحدثها في النفس إلا القرآن الكريم, فقد قال الله تعالى: " **الله نزل أحسن الحديث كتشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله, ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد**"[6].

---

[2] - ابن منظور, لسان العرب, دار صادر, بيروت (د.ت), الطبعة الأولى, ج4, ص 691-692.
[3] - سورة الإسراء, الآية 88.
[4] - الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن, المرجع السابق, ص 325-326.
[5] - الدكتور إبراهيم وأنيس وأعوانه, المعجم الوسيط, باب الهمزة.
[6] - سورة الزمر, الآية 23.

ولقد عاب الله الذين لا تتأثر بالذكر قلوبهم, وأعظم الذكر القرآن الكريم, فقال تعالى: "**فويل للقلسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين**"[7].

وبسبب هذا التأثير القوي المنقطع النظير كان الكفار ينفّرون أتباعهم وذويهم من الاستماع لقراءة القرآن خوفا من غلب رسالته على قلوبهم ومشاعرهم. " **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**"[8].

**نشأة الإعجاز التأثيري وتطوره:**

تتصل نشأة الإعجاز التأثيري بنزول القرآن الكريم اتصالا مباشرا, وذلك في أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز إسماع المشركين للقرآن الكريم ليكون وسيلة لدعوتهم إلى الإسلام وسببا لاستسلامهم, وذلك في قوله تعالى: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه[9]". وقد وردت في كتب السيرة والتفسير ما يثبت كون الإعجاز التأثيري وسيلة أساسية في نشر الدعوة الإسلامية في العهد الأول للإسلام وبعده. فما قصة إسلام عمر بن الخطاب بغريب في الآذان وليس بعيدا في الأذهان إذ شرح الله صدره للإسلام بسماعه لقراءة سورة طه في دار أخته, فصار كفره لخالقه إيمانا, وعداوته للإسلام والمسلمين موالاة.

وبعث الملأ من قريش عتبة بن ربيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليوقفوه على أمور, فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من (حم السجدة) فلما أقبل عاد عتبة إلى الملأ من قريش أقبل بوجه غير الذي ذهب به.......

ولما سمع الجن قراءة القرآن لم يستطيعوا تمليك أنفسهم حتى قالوا: "إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به"[10].

ويتمثل الإعجاز التأثيري في القرن الأول والثاني الهجريين في الممارسة والسلوك العملي دون وضع القواعد له ولا التأليف فيه.

---

[7] - سورة الزمر, الآية 22.
[8] - سورة فصلت, الآية 26.
[9] - سورة التوبة, الآية 6.
[10] - سورة الجن, الآية 23.

وفي القرن الثالث الهجري أشار بعض العلماء إلى الإعجاز التأثيري كالجاحظ (ت: 255هـ) في كتابه: "البيان والتبيين" [11]من خلال حديثه عن الإعجاز البلاغي للقرآن, وكذلك علي بن عيسى بن علي الرماني (384هـ) في منتصف القرن الرابع في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)[12].

وغير ذلك ممن تأثروا بسماع القرآن فأسلموا وحسن إسلامهم.

وأما تطور الإعجاز التأثيري فقد مرّ بمراحل وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: **مرحلة النشأة الواقعية**

تتم مرحلة نشأة علم بزمن ولادته وإخراجه إلى الناس ومعرفتهم به وإدراك محاسنه وفضائله. ومرحلة النشأة للإعجاز التأثيري ترجع إلى زمن نزوله على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم لإعداده لعملية إنذار المشركين والكفار كما في قول الله سبحانه وتعالى: "وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"[13]. فعملية الإنذار المشار إليها في الآية المذكورة تثبت أن الإعجاز التأثيري له مكانة على بقية أوجه الإعجاز القرآني لارتباطه ارتباطا أساسيا بنزول القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم, ولتعلقه تعلقا أصليا بلحظة تلاوة القرآن وإسماعه للناس. وكلما تليت القرآن وتم الإنذار به خضع قلب من أراد الله به خيرا من الكفار والعتاة واستسلمت نفسه لرسالة القرآن بدرجة عالية في التأثير. ولذلك يجب على الدعاة إسماع الناس القرآن الكريم لتفيء قلوبهم لأمر الله كما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم إسماعه بقوله سبحانه وتعالى: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون". فهذا الإسماع بمثابة الشعاع الذي ينير الطريق لمن ضل الطريق ويقوده إلى الصراط السوي.

المرحلة الثانية: **مرحلة التأصيل العلمي**: ظل الإعجاز التأثيري للقرآن القرآن في عالم المحسوس, يحس به من يقرأ القرآن قراءة متأملة متدبرة أو من يستمع إلى قراءته ويتابع الآيات ومعانيها بعقله وبنفسه, ولم يتحدث عنه أحد من الكتاب حتى جاء

---

[11] - الجاحظ, البيان والتبيين, , دار الجيل, بيروت, ت: عبد السلام هارون, 1451هـ, ج1, ص 273.
[12] - الرماني, النكت في إعجاز القرآن, ت: الدكتور عبد العليم, مكتبة الجامعة الملية الإسلامية, دهلى, 1963.
[13]- سورة الشعراء الآيات 192- 195.

القرن الثالث الهجري فدخل هذا النوع من الإعجاز القرآن طورا جديدا استغل بالحديث عنه علماء الدين, ويُعدّ الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت: 388هـ) أول ما تناول هذا الموضوع في إطار التأصيل العلمي حيث يقول في رسالته " بيان إعجاز القرآن": "في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس, فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من أحادهم, وذلك صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس, فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا, إذا قرع السمع خلص إلي القلب من اللذة والحلاوة في الحال, ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه, تستبشر به النفوس, وتنشرح له الصدور, حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق, وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود, وتنزعج له القلوب, يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها..."[14].

ومن العلماء القدامى الذين تحدثوا عن الإعجاز التأثيري وجعله أبرز وجها للإعجاز القرآني الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت:473هـ) وأصبح هذا الرأي أساسا من أسس نظريته في النظم, وقال في كتابه (الشافية): " من الذي يرضى من نفسه أن يزعم أن البرهان الذي بان له - العرب – والأمر الذي بهرهم, والهيبة التي صدورهم, والروعة التي دخلت عليهم فأزعجتهم حتى قالوا (إن له الحلاوة وإن عليه الطلاوة), إنما كان لشيء راعهم من موقع حركاته, ومن ترتيله وبيان سكناته, أو التواصل في أواخر آياته"[15].

وقد ساق عبد القاهر الجرجاني أمثلة ثلاثة للتدليل على عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم, وهي:

1- كلام عتبة بن ربيعة عن القرآن: "إني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط, وما هو بالشعر, ولا بالسحر, ولا بالكهانة".

2- كلام الوليد بن المغيرة عن القرآن: " والله إن لقوله لحلاوة, وإن أصله لعذق, وإن فرعه لجناة, وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل".

3- كلام أبي ذكر وأخيه أنيس:

---

[14] - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, دار المعارف, مصر, (د.ت), ص 70-71.
[15] - عبد القاهر الجرجاني, الرسالة الشافية في إعجاز القرآن, دار المعارف, مصر, (د.ت), ص 76.

والأمثلة التي ساقها عبد القاهر الجرجاني تثبت أنه يرى الإعجاز التأثيري من أهم وجوه الإعجاز القرآني.

ومن العلماء المعاصرين الذين تناول قضية الإعجاز التأثيري وجعله مقدما على بقية أوجه الإعجاز الشيخ محمد الغزالي, وهو عالم كبير من علماء مصر, وعملاق من عمالقة الدعوة الإسلامية في القرن العشرين.

ولد الشيخ محمد الغزالي بمصر في شهر سبتمبر عام 1917م, فسماه أبوه محمد الغزالي تنفيذا لوصية حجة الإسلام الإمام أبي محمد أبي حامد الغزالي حين تراءى له في المنام وأخبره أنه "سيتزوج وينجب غلاما, وأشار إليه أن يسميه "الغزالي"[16].

وقد أنعم الله على هذا الشيخ بحفظ القرآن الكريم منذ صغره, فكان يذكر ذلك في قوله: "لقد استطعت – كعدد كبير من الأولاد الصغار- أن أحفظ القرآن كله وأنا ابن عشر سنين... وبديهي أن يكون مسجلا في ذاكرتي هو الشكل لا الموضوع, هو الألفاظ لا المعاني, هو الصور البادية للقرآن لا السور المفعمة بالروح والنور والقوة[17].

وبعد الجهود الثمينة التي قدمها الشيخ الغزالي في الساحة العلمية طالبا للعلم وعاملا بعلمه ومؤلفا للكتب وخطيبا في المسجد ومدرسا في القاعات الدراسية, جاد بروحه الطيبة في عام 1996م بالمدينة المنورة, ودفن ببقيع الغرقد. وقد خلف وراءه ما يفوق ستين كتابا في مختلف المجالات العلمية. وهذا الحفظ التام للقرآن الكريم أعان الشيخ الغزالي على ملازمته قراءة وتدبرا حتى قدّم للأمة أسفارا جليلة في الدراسات القرآنية منها:

(أ) **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**: هذا الكتاب يتضمن تفسيرا موضوعيا لكل السور القرآنية, "ويتحدث عن كل سورة من السور باعتبارها وحدة تدور حول موضوع معيّن, وهو يحاول أن يرسم (صورة شمسية) لها, وأن يربط أوائل السورة بأواخرها, ويصل بين أطرافها وأوساطها, وأن يتعرّف على الروابط الخفية التي تشد كلها"[18].

---

[16] - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, دار المعارف, مصر, (د.ت), ص 70-71.
- عبد القاهر الجرجاني, الرسالة الشافية في إعجاز القرآن, دار المعارف, مصر, (د.ت), ص 76.
[17] - دكتور مسعود موسى فلوسي, الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود, مكتبة وهبة, القاهرة, 2003م, ص 24.
[18] - د. يوسف القرضاوي, الشيخ الغزالي كما عرفته, ص 110.

(ب) **نظرات في القرآن الكريم**: وهو عبارة عن جملة أبحاث تنضوي في إطار الاتجاه الموضوعي في التفسير منها الإنسان في القرآن, والثروة في القرآن, والألوهية في القرآن, والنبوات في القرآن, والجزاء في القرآن. وكذلك الإعجاز النفسي والعلمي والبياني وغيرها من الأبحاث المتعلقة بالتفسير مثل النسخ وتاريخ النزول.

(ج) **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**: الكتاب عرض موضوعي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بالمحاور الكبرى التي تدور عليها موضوعات القرآن الكريم كله, وهي: الله, الكون الدال على خالقه, القصص القرآني, البعث والجزاء, والتربية والتشريع,. وضمّن الكاتب هذا الكتاب بمقارنات بين التفسير الموضعي والتفسير الموضوعي, وذلك من خلال عرض نموذجين لتفسير سورة الواقعة, أحدهما من النوع الأول , والآخر من النوع الثاني.

(د) **كيف نتعامل مع القرآن الكريم**: يتضمن الكتاب مدارسة جرت بين الشيخ الغزالي والأستاذ عمر عبيد حسنة حول مناهج فهم القرآن الكريم وقضايا تفسيره وتأويله وتصنيفه وتبويبه. وتتسم هذه المدارسة بمداخل نقدية متعددة لتنوع الموضوعات التي تتضمنها. ومن هذه المداخل النقدية رد الشيخ الغزالي لإعجاز العلمي وإدراج النظريات والاكتشافات العلمية التي سبق إليها القرآن تحت دلائل النبوة[19].

(هـ) **نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**: كتاب صغير يحتوي مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الشيخ في قاعة ابن خلدون, ما بين سنوات 1984- 1986م. هذه المحاضرات تصب في دائرة التفسير الموضوعي ولا تحيد عنها.

وقد أفرد الشيخ محمد الغزالي فصلا كاملا في كتابه "نظرات في القرآن" للحديث عن أوجه الإعجاز القرآني, فتناول حديثه ثلاثة أوجه وهي الإعجاز النفسي, والإعجاز العلمي, والإعجاز البياني. ويتمثل حديث الشيخ الغزالي عن الاعجاز النفسي التأثيري متمثلا في نقاط أربع, وهي:

النقطة الأولى: مكانة الإعجاز التأثيري.

---

[19] - محمد الغزالي, كيف نتعامل مع القرآن, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, 2002م, ص 138-139,

.النقطة الثانية: تأثير القرآن في المؤمن والكافر

النقطة الثالثة:  وسائل تأثير القرآن

.النقطة الرابعة: موانع التأثر بالقرآن

**مكانة الإعجاز التأثيري عند الشيخ الغزالي**: فالشيخ الغزالي قد جعل الإعجاز التأثيري (النفسي) مقدما على أوجه الإعجاز جميعا, وعلى الوجه البياني الذي كان يتصدر وجوه الإعجاز عند السابقين غالبا. ومما يثبت الرأي بأن الإعجاز التأثيري هو المقدم لدي الشيخ الغزالي  وضعه في المرتبة الأولى في كتابه "نظرات في القرآن" وتقدمه على ما سواه. فقال الشيخ محمد الغزالي عن مكانة الإعجاز التأثيري: " قد تجد في القرآن حقيقة مفردة, ولكن هذه الحقيقة تظهر في ألف ثوب, وتتوزع تحت عناوين شتى, كما تذوق السكر في عشرات الطعوم والفواكه, وهذا التكرار مقصود, وإن لم ترد به الحقيقة العلمية في مفهومها. ذلك أن الغرض ليس تقرير الحقيقة فقط, بل بناء الأفكار والمشاعر, والتقاط مؤلفه آخر ما تختلقه اللجاجة من شبهات وتعلات, ثم الكر عليها بالحجج الدامغة, تى تبقى النفس وليس أمامها مفر من الخضوع لمفهومها للحق والاستكانة لله. وعندي أن قدرا من إعجاز القرآن يرجع إلى هذا..."[20].

تلك هي مكانة الإعجاز التأثيري لدى الشيخ محمد الغزالي, وإن كان للإعجاز القرآني وجوه آخرى فهي دون الإعجاز التأثيري في القدر والأهمية, ولكن هل يتأثر كل إنسان بالقرآن؟ أم يقتصر هذا التأثير على المؤمنين به؟ ويرد هذا التساؤل أمامنا بما يؤكد مكانة الإعجاز التأثيري بين وجوه الإعجاز, وعدم اقتصاره على المؤمنين فقط.

**.النقطة الثالثة: تأثير القرآن في المؤمن والكافر**

وأورد الغزالي تساؤلات تؤكد مكانة الإعجاز التأثيري بين أوجه الإعجاز القرآني, وقوة تأثيره في النفوس كلها دون اختصاص ولا استثناء, فتراه يقول:

"فما أظن أن امرأ سليم الفكر والضمير يتلو القرآن, أو يستمع إليه, ثم يزعم أنه لم يتأثر به.. قد تقول: ولِمَ يتأثر به؟ والجواب أنه ما

[20] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, 2003, ص 105.

من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه. وما أكثر ما يفر المرء من نفسه, وما أكثر الذين يمضون في سبيل الحياة هائمين على وجوههم, ما تمسكهم بالدنيا إلا ضرورات المادة فحسب. إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق, وزلة كل ذي ذلل, ثم تكفل بإزاحتها كلها, كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه, فهو يجمعها من هنا وهناك لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها. وذلك سر التعميم في قوله- عز وجل- : " ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل". حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعترا ف بأنه من عند الله. إنهم يقفون منه مثلما يقف الماجن أمام أب ثاكل, قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه, ولكنه يؤخذ فترة ما بصدق العاطفة الباكية. أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق, ويحدث العميان عن اليقين الذي يرى ولا يرون. إنه قد يرجع مستهزئا, ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها. والمنكرون من هذا النوع لا يطعنون في التأثير النفساني للقرآن الكريم, كما أن العميان لا يطعنون في قيمة الأشعة. ولذا يقول الله عز وجل: "الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد"[21].

فتأثير القرآن لم يقتصر على المؤمنين فحسب بل يتأثر على غير المؤمنين من أهل الكتاب والكافرين والمشركين من أراد الله به الهداية منهم. فالذين أشد عداوة للإسلام والمسلمين على مر الزمان وكر الدهور هم اليهود والذين أشركوا كما أقرّه القرآن في قوله تعالى: " لتجدن أشد عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..."[22].

فزعماء المشركين مع شدة عنادهم كان يسارق بعضهم بعضا, فربما خرج أحدهم في جنح الليل المدلهم ما يخرجه إلا استحواذ القرآن على مشاعره واستيلائه على إحساسه, يبحث عمن يتلو القرآن في هدأة الليل؛ فهذا أبو سفيان ابن حرب, وأبو جهل بن هشام, والأخنس بن شريق خرجوا ليلة وقد أرخى سدولها, ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من

---

[21] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, المرجع السابق, ص 105-106.
[22] - سورة المائدة الآية 82.

الليل في بيته, فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه فيه, وكل لا يعلم بمكان صاحبه, فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا, فجمعهم الطريق فتلاوموا, وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا, فلوا رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا... وحصل في الليلة الثانية ما حصل  في الأولى... وحين التقوا غي الليلة الثالثة, قال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألاّ نعود, فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

قد تبيّن في ما حدث بين هؤلاء المشركين كيفية تأثير القرآن في الأعداء, يخلع منهم القلوب وتهز لهم النفوس وتجذب عنايتهم إلى استماعه رغم كراهتهم له, فيطير من عيونهم النوم, ويزول عنهم السكون.

وتحكس لنا كتب السيرة قصة الطفيل بن عمرو الدوسي (اليمن من قبيلة دَوس) , قدم مكة في العام الحادي عشر  من النبوة, فاستقبله أهل مكة قبل وصوله إليها, وقدّموا إليه أجل تحية وأجزل ترحيب وأكرم تقدير, وقالوا له: "إنك قَّدِمت بلادنا, وإن هذا الرجل- وهو الذي بين أظهرنا- فرّق جماعتنا, وشتت أمرنا, وإنما قوله كالسحر يفرِّق بين المرء وابنه, وبين المرء وأخيه, وبين المرء وزوجه, وإنما يخشى عليك وعلى قومك ما قد حلّ علينا, فلا تكلّمه ولا تسمع منه, قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألاّ أسمع منه شيئا, ولا أكلمه حتى حسوتّ في أذنيَّ – حين غدوت إلى المسجد - كُرْسُفًا, فَرَقًا من أن يبلغني شيء من قوله. قال: فغدوتُ إلى المسجد, فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يُصلي عند الكعبة, فقمتُ قريبًا منه, فأبى الله إلا أن يُسمِعَني بعض قوله, فسمعت كلاما حسنًا, فقلت في نفسي: ولثكل أمِّياه, والله إني لرجل لبيب شاعر, ما يخفى عليَّ الحسنُ من القبيح, فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان ما يقول حسنًا قبلتُ, وإن كان قبيحا تركتُ. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته, فتبعتُه حتى إذا دخل بيتَه دخلتُ عليه, فقلت: يا محمد! إن قومك قد قالوا لي : كذا كذا, فوالله ما برحوا يخوِّفونني أمرك حتى سددتُ أذنيَ بكُرسُف لئلا أسمع قولك, ثم أبى الله إلا أن يُسمعني, فسمعتُ قولاً حسنًا, فاعرض عليَّ أمرك, فعرض عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام, وتلا عليَّ

القرآن, فلا والله ما سمعت قولا قطُّ أحسنَ منه, ولا أمرا أعدل منه, فأسلمتُ, وشهدت شهادةَ الحق.[23]

وفي كثير من المحاولات التي جرت مع بعض العلماء غير المسلمين في مُختلف التخصصات عند ما كانوا يقررون بعض الحقائق الهلمية التي تم التوصل إليها بعد البحث والدراسة تصريحا أو تلميحا. وهناك شهادات هؤلاء الدارسين والباحثين والمفكرين من أعلام الغرب وعباقرة العالم. نعرض نبذة يسيرة من هذه الشهادات على النحو الآتي:

1- **المستشرق الألماني "د. شُومبس",** حيث يقول: "... وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة, فقد درستُ القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية, والأنظمة المحكمة, والبلاغة الرائعة التي لم أجد مثلها قط في حياتي, جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات, هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه"[24]

2- **الدكتور جرينه المسلم الفرنسي** الشهير الذي كان عضوا في البرلمان والذي قال حينما سُئل عن سبب دخوله في الإسلام: " لقد تتبعتُ كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فأسلمتُ لأني تيقنتُ أن محمدا أتى بالحق الصراح قبل ألف سنة من غير أن يكون له مدرس من البشر, ولو أن صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه كما قارنتُ أنا لأسلم دون ريب إن كان خاليا من الأغراض.[25]

3- **المستر ر. دي كري المسيحي** الذي أشهر إسلامه وكان قد سُئل بعد ذلك عن علة إسلامه فأجاب قائلا: " إنني نشأت على الديانة المسيحية وأجريت عليَّ جميع آدابه ورسومه ولكن عند ما ظهرت لي هذه الحقيقة الواقعية وهي تطابق ما ساقني إليه نظرياتي الشخصية وجميع ما قرأته حول الدين الإسلامي وما أجده في أقوال النبي محمد وتعاليمه من الأجوبة الكافية على جميع مسائلي العويصة عند ذلك غمرتني حالة بهجة وسرور أترك تصورها

---

[23] - انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ج3, ص 624-625, السيرة النبوية لابن هشام ج 2, ص 226, البداية والنهاية لابن كثير, ج3, ص 99.
[24] - نقلا عن: بالقرآن أسلم هؤلاء, ص 49.
[25] - http://khutabaa.com

إلى فكرة القارئ... وكلما قرأت سورة من القرآن كانت الحقائق الواقعية تتجلى لي واحدة تلو أخرى فالحمد لله تعالى تقبل بلطفه وكرمه استسلامي للديانة الإسلامية"[26].

ووجدنا من غير المسلمين من لم يتأثر القرآن في قلبه مع قراءته له. فقد استخدم المستشرقون الأوائل على وجه العموم خطة عملية في تناولهم للإسلام تهدف إلى تشويه صورته والتشكيك في مصداقية, فاستهدفوا القرآن الكريم باعتباره مرجعية كبرى للإسلام التي أجمع عليها المسلمون وعكفوا على التعبد به وتلاوته وحفظه وتدبره. اتجه المستشرقون أولا إلى ترجمة القرآن الكريم بهدف تحريف كلمه وتصحيف معانيه بحيث تخدم أغراضهم في الحط من الإسلام. وعلى قائمة المستشرقين الذين أجروا الدراسات المختلفة للقرآن ولم يسلموا ولم يتراجعوا عن أقوالهم ما يلي:

1- **المستشرق الإنجليزي "جب"** (1895م-1971م) الذي حاك كثيرا من الافتراءات والترهات حول القرآن الكريم, إذ قد ادعى أنه من صنعة محمد, جريا على الأصولية العدائية للمستشرقين, هذا هو ما ينضح به كتاب المحمدية يعني (الإسلام. (muhammadanism)

2- **المستشرق الألماني فيشر** (1845م- 1949م) الذي كتب رسالة بعنوان "آية مقحمة في القرآن", وادعى أن الاسم "محمد" كان مستعملا لدى البيزنطيين قبل الإسلام. فتم طرد هذا المستشرق الألماني من عضوية المجمع اللغوي سنة 1945م.

3- **المستشرق الفرنسي بلاشير** (1900م- 1970م) الذي اقتفى آثار سابقيه أمثال فلوجل, ونولدكه في طريقة ترتيب القرآن حسب النزول؛ يزعم بلاشير أن فقرة "الغرانيق" المزعومة من صميم القرآن, وأن القرآن قد تعرضت أجزاء منه للضياع سواء المحفوظ منها في الذواكر, أم المسطور منها في الدفاتر. ويردد بلاشير دعواه بأن القرآن مأخوذ من مصادر يهودية ونصرانية.

وبعد هذه المواقف الطيبة التي تصور للأذهان مظاهر التأثير القرآني في القلوب, يرى أن هناك أناس لم يتأثر القرآن في قوبهم ولا تقشعر جلودهم ولا تدكدك نفوسهم حالة القراءة أو السماع للقرآن الكريم. ففي هذا الصدد يتلجلج في الصدر ويخطر في

---

[26] - http://khutabaa.com

القلب سؤال مهم لماذا لا يتأثر القرآن في القلب؟ وما هي العوائق التي تحجب العقول عن التأثر بالقرآن؟ ويمكن إجمال الأسئلة الصحيحة لهذا السؤال فيمل يأتي:

(أ) **مرض القلب وقسوته**: فالقلب هو المخاطب الأول بالقرآن, ولن ينتفع بقراءة آيات القرآن أو السماع إليها إلا القلب الصحيح السليم من الأمراض والرعونات القلبية. أما القلوب السقيمة التي أمرضتها العقيدة الفاسدة والذنوب المهلكة, واسنحوذت عليهت الشهوات المحرمة فلن تتأثر بالقرآن إلا بإرادة الله وتوفيقه جل وعلا. فقد قال تعالي في كتابه العزيز: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد"[27].

(ب) **الغفلة والانهماك في الملذات الدنيوية**: فالإنسان الذي امتلأ قلبه بزخارف الدنيا وملذاتها لن يشعر بأثر القرآن ولن يتذوق حلاوته, بل يتقلب قلبه بين الغفلة والإعراض. ولذلك قال الله تعالى: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون".

(ج) **طول الهجران للقرآن**: فإن طول الهجر للقرآن يحدث فجوة كبيرة بين القلب والتأثر به, ويجني لصاحبه آثاما كبيرة؛ لذلك يشتكي الرسول صلى الله عليه وسلم لربه هذا الهجر كما في قول الله تعالى: "وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا؟

(د) **عدم فهم معاني القرآن**: إن عدم فهم القرآن وتفسيره يحجب القلب عن التأثر به ويحول بينه وبين الاستجابة للنداءات القرآنية.

**وسائل القرآن التأثيرية لدى الشيخ الغزالي**:

يقصد بوسائل الإعجاز التأثيري بتلك الطرق التي يتم بها إيصال التأثير القرآني إلى القلوب. و

1- **الترغيب والترهيب**: لقد تعددت آراء المفسرين في الهدف السامي وراء استخدام أسلوب الترغيب والترهيب, منهم من قال بأنه: "تنشيط الله عباده المؤمنين لطاعته, وتثبيط عباده الكافرين

---

[27] - سورة ق, الآية 37.

عن معاصيه". حين يري بعضهم أن الغاية من هذا الأسلوب أن "يكون العبد أن يكون العبد راغبا راهبا, خائفا راجيا", و"لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف", بينما يذهب فريق آخر إلى أن الدافع إلى هذا الأسلوب هو "أن مطامع العقلاء محصورة في أمرين هما: "جلب النفع ودفع المضر.

فوسيلة الترغيب والترهيب – حسب رأي الغزالي- تهدف حبس نفوس المؤمنين على الاستقامة وتنفيرها من الكفر والنفاق؛ وذلك بالتبشير بما يناله المؤمون من الجزاء الأوفى وإلقاء صواعق الإنذار من العاقبة الوخيمة التي تنالها غير المؤمنين عن طريق الدمج بين القصص والمواعظ والعبر لترق القلوب وتسكن في رحاب الإيمان بالله تعالى, وفي ذلك يقول الغزالي:"والشعور بالرغبة والرهبة تعمرك وأنت تسمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق, ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم, والمغازي والعبر, تقشعر منه الجلود"[28]. إن تأثير أساليب الترغيب والترهيب في القلوب المؤمنين بالله تعالى أكثر بكثير من تأثيرها بالقلوب الفارغة من الإيمان.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن استخدام أسلوب الترغيب والترهيب جاء على نمطين اثنين:

الأول: أن يتقدم الترغيب على الترهيب, كما في قوله تعالى: " إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب"[29], وقوله تعالى: "غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول"[30], وقوله تعالى: "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم"[31],

الثاني: أن يتقدم الترهيب على الترغيب, نحو قوله تعالى: "إن ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم"[32], وقوله تعالى: "إن بطش ربك لشديد[33]... وهو الغفور الودود"[34], وجاء وصف حال أهل الكفر قبل وصف حال أهل الجنة في قوله تعالى : "وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم

[28] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, مصر, 2005م, ص 107.
[29] - سورة الرعد, الآية 6.
[30] - سورة غافر, الآية 3.
[31] - سورة الحجر الآية 49-50.
[32] - سورة الأنعام, الآية 165.
[33] - سورة البروج, الآية 12 .
[34] - سورة البروج, الآية 14.

رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين, قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين"[35]. "وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخوها خالدين. وقالوا الحمد للهبالذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين"[36].

فمن هنا لا يمكن تعميم القول بأن التربية بالترهيب والترغيب هي النزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان كما صدر من بعض العلماء "التربية بالترغيب والترهيب هي أحط أنواع التربية وأبعدها عن القيم الإنسانية لأنها تستغل غريزتين من غرائز الحيوان وهما غريزتان الخوف من الألم والحرص على اللذة المادية فاستخدام وسائل التخويف من العقوبات والإغراء بالمكافآت في التربية نزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان"[37]. فيظهر مصداق هذا القول في الكفار والذين ضعف إيمانهم في الله سبحانهم وتعالى, وأما اللذين يزداد إيمانهم بالاستماع القرآن الكريم وبتلاوته فتربيتهم بالترغيب والترهيب ليست نزولا إلى مرتبة الحيوان بل هي تذكيرهم بشناعة الوقوع فيما لا يرضي الله تعالى كما يلاحظ في قول الله تعالى عن نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: "ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذناه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين"[38].

2- **تقديم الدليل المفحم على كل شبهة**: ومن وسائل الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم لدى الشيخ الغزالي ما سماه "تقديم الدليل المفحم على كل شبهة" كما ورد في قوله: " والمقصود أن القرآن يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوقه في الجدل, أي تقديم الدليل المفحم على كل شبهة, وتسليط البرهان القاهر على كل حجة". وهذه الوسيلة هي المعروفة بالحوار القرآني.

فالحوار القرآني يؤدي دورا فعالا خطيرا في إمداد العقول بمعلومات معينة وتزويدها بأمور مهمة. فالحوار تأثير عقلي كما أن

---

[35] - سورة الزمر, الآية 71- 72.
[36] - سورة الزمر, الآية 72- 74.
[37] - دكتور عبد الغني محمد سعد بركة, أسلوب الدعوة القرآنية, مكتبة وهبة, القاهرة, 1983, ص 335.
[38] - سورة الحاقة, الآيات 44-47.

القصة تأثير وجداني. وفي ذلك يقول الغزالي: "إن القرآن يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوقه في الجدل, أي تقديم الدليل المفحم لكل شبهة, وتسليط البرهان القاهر على كل حجة[39].

ومما لا شك فيه أن الحوار القرآني يهتم بالثمرة التي تأتي من " هذا الحوار, فهو يهدف إلى التأثير بآيات القرآن الكريم, وإظهار أن القرآن كلام الله وأن هذا الحوار القرآني دلالة قاطعة على عظمة الإسلام وتسامح المسلمين, ومما هو جدير بالذكر أنه بفضل الحوار كان القرآن يقيم الحجة على المعاندين والمشركين, وكان يقيم البرهان على أن هذا الكلام من عند الله, ولا يقبل الشك من أحد[40].

**3- تلوين الحديث:** يقول الشيخ الغزالي: "وأسلوب القرآن في استلال الجفوة من النفس, وإلقاء الصواب في الفكر, أوفى على الغاية في هذا المضمار. ذلك أنه لوّن حديثه للسامعين تلوينا يمزج بين إيقاظ العقل والضمير معا, ثم تابع سوقه متابعة إن أفلت المرء منها أولا لم يفلت آخرا"[41].

فتلوين الخطاب القرآني هو تبدل الخطاب في الضمائر والبنية التركيبية واللغوية في الآيات القرآنية وفي الموضوعات المتعددة التي تناولتها الآيات القرآنية.[42]

ومن ضروب تلوين الخطاب في القرآن العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى كقوله تعالى: "ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير"[43]. فصرف الخطاب عن المشركين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة كبيرة للتأثير القرآني في قلوب الكفار والمشركين, لأنهم لا يفهمون الخطاب حق الفهم ولا يعملون به إلا بالرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الموحي إليه وله الفهم التام والطاعة الكاملة .

وفي تلوين الخطاب التقديم والتأخير في الآيات القرآنية كقوله تعالى: وآمنوا بما أزلت مصدقا معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا

---

[39] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, المرجع نفسه, ص 106.
[40] - د. مصطفى سعيد, الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى, مكتبة المهتدين الإسلامية, الطبعة الأولى, 2009, ص 159.
[41] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, المرجع السابق, ص 107.
[42] - انظر: تلوين الخطاب دراسة في أسلوب القرآن الكريم, أحمد تجان صلاح.
[43] - سورة الفاطر, الآية 14.

تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون"[44]. وقوله تعالى: "وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب"[45]. فيلاحظ في الآية الأولى تأخير لفظ "فاتقون", وفي الثانية تقديم لفظ "فاتقون". وفي كل من الموضعين دلالة معينة بالغة ومتأثرة.

**4- التغلب لمشاعر الملل:** تتغلب معاني القرآن على مشاعر القارئ أو المستمع وتتركه في حالة تختلف عن الحالة التي كان عليها قبل الخوض في القراءة. فقد صدق القرآن هذه الحقيقة بقوله تعالى: " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تليت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله"[46]. وحدّث القرآن عن أولئك الذين تنهمر أعينهم من سماع القرآن, وذلك في قوله: "وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق"[47].

فمن القراء من يغشى عليه حالة قراءته للقرآن ثم يفيق, ومنهم من يجهش للبكاء ولم يستطيع حمله فيبكي إلى بكاء عويلا, ومنهم من يصرخ منه صراخا شديدا بالتكبير. فكل من هذه الأحوال تعرض على القراء والمستمعين نتيجة التأثير القرآني في قلوبهم.

5- **تصريف الأمثال**: يقول الغزالي في التأثير القرأني بتصريف الأمثال: "كما يصاب الهدف على دقة المرمى, وموالاة التصويب. وذلك هو تصريف الأمثال للناس, إنه إحاطة الإنسان بسلسلة من المغريات المنوعة لا معدى له من الركون إلى إحداها. أو معالجة القلوب المغلقة بمفاتيح شتى, لا بد أن يستسلم القفل عند واحد منها"[48].

وقد يكون تصريف الأمثال في القرآن الكريم إما في المعاني وإما في الألفاظ والأساليب. فأما التصريف في المعاني فيتمثل في كون مؤدى الجمل المختلفة السياق واحدا. فالقصة الواحدة مثل قصة سيدنا موسى تذكر في القرآن في عدة مواضع بالألفاظ المختلفة أو المتحدة أو المتقاربة أو بعبارات متحدة ولكن لها في كل مرة

---

[44] - سورة البقرة الآية 41.
[45] - سورة البقرة الآية 197.
[46] - سورة الزمر, الآية 26.
[47] - سورة المائدة, الآية 83.
[48] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, المرجع السابق, ص 107.

عبرة تؤثر في قلوب القرّاء والسامعين[49]. ولقد سبق أن أشار الإمام الرماني إلى هذا النوع حيث يقول: " وهذا الضرب من التصرف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه, وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة قد جاء في القرآن في غير قصة, منها قصة موسى – عليه السلام- في سور الأعراف وفي طه والشعراء لوجوه من الحكمة, منها التصرف في البلاغة من غير نقصان, ومنها تمكين العبرة والمواعظ"[50].

وأما التصريف في الألفاظ والأساليب فهو يتمثل في اختلاف أسلوب الخطاب المكي عن الخطاب المدني. فخصائص الأسلوب للسور المكية نختلف عن السور المدنية تبعا للموضوعات التي تتناولها, ولاختلاف نوعيات المخاطبين. وكذلك تفاوت السور القرآنية, فمنها الطوال مثل والقصار والمتوسط ولكن ليس هناك التفاوت في تأثيرها في القلوب. فلا يمكن لأحد أن يقول بأن سورة البقرة أبلغ تأثيرا من سورة العصر لطولها ولاشتمالها على الموضوعات المختلفة.

6. **القصة القرآنية:** قال الغزالي: والشعور والرهبة والرقة يغمرك وأنت تسمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق, ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم والمعاني والعبر تقشعر منه الجلود. وأقرب الأمثلة لذلك سور الأعراف وهود والشعراء والقصص"[51]

لا تكاد تخفى على كل عاقل ما في القصة القرآنية من بالغ الأهمية في التأثير العميق في النفوس من ناحية القصص الواقعية ذات تجارب كثيرة توصل إلى سويداء القلوب تلك الحقائق التي تهز كيانها وتعالج شوائبها وتستأصل قساوتها فيتجلى فيها نور الإيمان بالخالق. لذلك تعتبر القصة القرآنية أول الوسائل عن الإعجاز التأثيري مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى: " **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**".

---

[49] - الإمام أبو زهرة, المعجزة الكبرى القرآن, دار الفكر العربي, القاهرة, 2009م, ص 119.
[50] - الرماني, ص 101
[51] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, المرجع نفسه, ص 110.

فالقصة القرآنية تؤثر في عقول الناس وقلوبهم لأنهم يعيشون معه, وهو منهل يستقون منه العبرة والعظة لحل مشكلة معينة أو تصحيح أمر معلوم بأسلوب رفيع يستولي على المشاعر والأحاسيس ويأخذ بلباب الأفكار ويؤثر في الأسماع والقلوب على وجه القمة. وهذا التأثير يتمثل في مناحي متعددة منها تحويل الحال من سيئ إلى حسن, ومن حسن إلى أحسن, وكذلك تغيير كيفية التفكر وطرق التأمل من الرديء إلى صحيح, ومن صحيح إلى أصح.

وما أشد تأثير قصص الأنبياء في القلوب, فتأمل معي مثلا قول الله تعالى "**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضيعه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين. وقالت امرأت فرعون قرّت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهو لا يشعرون. وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكن من المؤمنين. وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهو لا يشعرون. وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهو له ناصحون. فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون**"[52].

تتضمن هذه الآيات كلمات لها مذاقها الخاص ويشعر كلٌّ من القارئ والمستمع تأثير القصة الواردة فيها في النفوس

القصة القرآنية تحقق الأغراض التي سيقت من أجلها. فهي أقصر طرق وأوجز أسلوب لتحبيب المحاسن إلى القلوب وإخضاع النفوس لصنع المعروف. وهي تُخاطب القارئ والمستمع أنها لم تساق لأجل التسلية والترفيه, ولا لقصد التنبيه ووعي التاريخ عن الأمم السابقة , وإنما كان لتحقيق هدف ديني وهو غرس الإيمان في الجَنان وتعمير جنبات النفس بما يجعل صاحبها النموذج المثالي في الإقبال على ما تصلح به الحال والمآل.

**موانع التأثر بالقرآن الكريم**:

---

[52] - سورة القصص, الآيات 7- 13.

قال الغزالي: "إننا نقرأ القرآن فيحجبنا. ابتداء عن رؤية إعجازه أنه كلام من جنس ما نعرف, وحروف من جنس ما ننطق, فنمضي في القراءة دون حس كامل بالحقيقة[53].

فما أشار إليه الغزالي في هذا الصدد هو الاستخفاف بشأن القرآن الكريم, وهو أحد الموانع من التأثر بكتاب الله تعالى. والموانع التي تحول بين قلب القارئ أو السامع دون التأثر بكلام الله تعالى كثيرة, وهي كلها لعمري شر وبلاء يُدرك من يحيد عن الصراط المستقيم ويصد عن سبيل الله ويجعل شهواته ونزواته أغلى مطالبه في الحياة, ويستلذ الملاهي بدلا من العبادة الخالصة لله تعالى. فهناك عدة أسباب تمنع الناس من التأثر بكلام الله تعالى وتثبط قلوبهم من الاستجابة للنداءات الرحمانية والاستماع لصواعق الإنذارات, منها:

**اتباع الهوى:** فالاستسلام لما يملي به القلب وقبول ما تهتف به النفس إقبالا عشوائيا يحول بين المرء المسلم وبين تدبره للقرآن الكريم, وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون"[54]. ومع هذه العداوة الشديدة فإن المشركين كلنوا يتأثرون بالقرآن ولم تزل هذا التأثر يقع حتى الوقت الراهن.

**قسوة القلب**: إن قسوة القلب داء وبيل يخمد نور القلب ويجلب لصاحبه العاقبة الوخيمة لأنه محروم من التأثر بما بالرسلة العظمى (القرآن الكريم)

الخاتمة:

جاءت هذه الدراسة مبينة الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم في كتاب "نظرات في القرآن الكريم" للشيخ الغزالي. ولعل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

---

[53] - محمد الغزالي, نظرات في القرآن, المرجع نفسه, ص 108.
[54] - سورة الجاثية الآية 23.

1- يرى الشيخ الغزالي الإعجاز التأثيري وجها مقما على أوجه الإعجاز القرآني لتعلقه بالقلوب والمشاعر, و وبهذا الوجه تتعرف الأوجه الباقية. وهذا خلاف ما عند السابقين غالبا, وكان الإعجاز البياني يتصدر عندهم. وقد عرض في كلام الغزالي ما يربط بين الوجهين رباطا وثيقا يجعله يقدما الإعجاز البياني تلميحا.

2- أكّد الشيخ الغزالي أن امرأ سليم الضمير والفكر لا يقرأ أو استمع إلى القرآن إلا وتأثر به. وهذا التعميم فيه استثناء لأن هناك بعض المفكرين والمستشرقين الذين درسوا القرآن الكريم لكنهم لا يستسلموا لدعوته ولم يعارضوه.

3- إن التأثير القرآني لم يقتصر على المؤمنين به فحسب بل هناك عدد كثير من المستشرقين والنصارى والكفار الذين خضعت قلوبهم للإسلام وأسلموا نتيجة قراءتهم للقرآن الكريم ودراساتهم عنه.

## المراجع والمصادر:


أبو زهرة, المعجزة الكبرى القرآن, دار الفكر العربي, القاهرة, 2009م,

أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن, المكتبة التوفيقية, مصر, تقديم: وائل أحمد عبد الرحمن, (د.ت).

الجاحظ, البيان والتبيين, , دار الجيل, بيروت, ت: عبد السلام هارون, 1451هـ, ج1,.

الرماني, النكت في إعجاز القرآن, ت: الدكتور عبد العليم, مكتبة الجامعة الملية - الإسلامية, دهلى, 1963.

عبد الغني محمد سعد بركة (دكتور), أسلوب الدعوة القرآنية, مكتبة وهبة, القاهرة, 1983,

عبد القاهر الجرجاني, الرسالة الشافية في إعجاز القرآن, دار المعارف, مصر, (د.ت) - ..

عبد القاهر الجرجاني, الرسالة الشافية في إعجاز القرآن, دار المعارف, مصر, (د.ت) - .

محمد الغزالي, كيف نتعامل مع القرآن, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, 2002م,.

محمد الغزالي, نظرات في القرآن, شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, مصر, - 2005م.

مسعود موسى فلوسي (الدكتور) , الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود, مكتبة وهبة, القاهرة, 2003م.

مصطفى سعيد (الدكتور) , الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى, مكتبة المهتدين الإسلامية, الطبعة الأولى, 2009.